مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستطعمه ونستكسيه ونسترشده ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده وتركنا على البيضاء الناصعة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فاللّهم صل عليه وعلى آله وصحبه صلاة مباركة وعلى كل من سار سيرهم وسلك سبيلهم وجاهد جهادهم وسلم تسليما كثيرا أما بعد؛

فإن افتقار الأنظمة في العالم العربي والإسلامي إلى الشرعية، وطغيان سياسة الاستبداد والتعسف والاحتكار على ممارسات السلطات، والعدوان على حقوق الله سبحانه وحقوق وحريات الأفراد والجماعات المتجلي في إعطاء السلطة نفسها حق التشريع ابتداء وإنشاء، والسخرية من الإسلام ولا سيما الأحكام الدستورية والدولية والأحكام الاقتصادية والاجتماعية، والجرأة على تحليل أو تحريم ما حرم الله سبحانه بنصوص قطعية في الدلالة، ورفع شعار لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة، مع معاقبة من يخالف ذلك بعقوبات تصل أحيانا إلى التعذيب المهلك، وإلى السجن الطويل المدى، وتشجيع دعاة اللائكية - العلمانية -

على النشاط والعمل والدعوة إلى أفكارهم الكفرية، وتكميم أفواه أهل الخير من الأمة ممن لا يساندون سياسات الأنظمة والحكومات، والفشل المستمر في تحقيق آمال الأمة في الحريات السياسية والتنمية الاقتصادية والعدل الاجتماعي، وفي الصراع العسكري والحضاري مع الغرب عامة وإسرائيل خاصة ..وما إلى ذلك من الممارسات والهزائم والمحن التي حلت بالأمة وخاصة العدوان الصهيوأمريكي بعد أحداث ٢٠٠١/٠٩/١١م على الإسلام والمسلمين في وسائل إعلامهم المختلفة، ولغة الاستكبار والاستعلاء التي تتعامل بها أمريكا مع العالم لا سيما العالم العربي، وإملاءاتها عليه بضرورة إعطاء مساحة لا بأس بها للمفاهيم العلمانية والقيم الفكرية الكونية في مناهج التربية والتعليم، ومناهج الإعلام وغيرها من مناهج بناء الإنسان، وضرورة التضييق على الحركات الإسلامية، حركات النهوض الحضاري الجديدة تحت شعار مكافحة الإرهاب، والهزائم المتكررة أمام العدو الإسرائيلي والسقوط الأخير للعراق أمام الجيش الأنجلوأمريكي بطريقة دراماتيكية وسرعة غير متوقعة بمباركة ومشاركة معظم الأنظمة العربية، وإملاءات أمريكا على أنظمة العالم العربي في ميادين التسلح وفي السياسات الاقتصادية والعلاقة مع إسرائيل وتصريحاتها بعزمها على إعادة تقسيم العالم العربي خلال السنوات العشر المقبلة.

إلى جانب ما سجل على الحركات الإسلامية المتبنية لمناهج التغيير الأخرى كحركة الإخوان المسلمين -كبرى الجماعات الإسلامية في هذا القرن والذي سبقه - من قصور في تحقيق ما انتصبت له من أهداف كبرى وما لحق أتباعها من اضطهاد وتعسف بلغ أحيانا كثيرة حد القتل والسجن المؤبد أو الطويل المدى مع الحرمان من الحقوق السياسية والمدنية.....

وما لحق الجزائر والجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد فوزها في الانتخابات التشريعية يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٩١ من قتل واعتقال وسجن وتشريد وتهجم غير مسبوق على الإسلام والحركات الإسلامية، وعلى التاريخ والقيم الحضارية الإسلامية والسعي الحثيث مع الدول العربية ودول الاتحاد الأوربي لإيجاد تكتل وتحالف لمحاربة الدعاة إلى الإسلام تحت شعار محاربة الإرهاب، وفسح المجال للحركات التبشيرية والنزعات العرقية والطائفية والمذهبية والتيار العلماني لينشروا ما شاؤوا من أفكار ومذاهب ونزعات مع التضييق على دعاة الإسلام ومنعهم من ممارسة دورهم وأداء واجبهم في تعليم الأمة دينها وتربيتها عليه وتوعيتها بالمخاطر الحقيقية التي تتهددها.

هذا إلى جانب ما تعرفه ساحة العمل الإسلامي من تعصب الكثير من العلماء والدعاة وقادة الأحزاب والمنظمات المختلفة، انتصر فيه كل فريق لمذهبه ورأيه وفهمه وجعل ذلك مرجعا وحكما

في ما أجمع عليه السلف أو فيما رآه جمهورهم، وفهم بعضهم الدين شعارات وصدف عن العمل، وترك بعضهم الاهتمام بقضايا الأمة الجوهرية وغرق في مسائل فرعية لا تنفع ولا تضر فأغرق أتباعه في الفتن والخلافات، وافتتن بعض العاملين في الحقل الإسلامي بالدنيا واكتفى بالشعارات والأقوال وتفنن في التسابق لنيل رضا أصحاب القرار بالتهجم على المخالفين له في الرأي والاجتهاد والاستهزاء بماضينا والسخرية من بعض علماء الأمة ودعاتها وقادة مسيرتها نحو التمكين للدين ورفع العدوان الواقع عليه وعلى حقوق الأمة، وشيوع ظاهرة التحزب المذموم الذي أضعف الحمية الإسلامية لدى الأمة حتى قتلها في نفوس الكثير من الإسلاميين وأفشل كل محاولات الوحدة أو على الأقل التعاون والتكافل، ومهد لظهور من يدعو لموالاة النظام، ويفتي بعضهم بعدم جواز العمل على تغييره ويبدع من يفعل ذلك، ونزول بعض القيادات الحزبية بالعمل السياسي إلى دركات الجري وراء المصالح والعمل على تحصيلها بكل الوسائل والطرق.

إن كل ذلك أدى إلى ظهور ما يسمى بالعمل الجهادي كأسلوب ووسيلة من وسائل التغيير في محيط الحركة الإسلامية، وتسبب في تطوره حتى بلغ مداه في الجزائر وكانت له نتائج بالغة السوء على كافة المستويات، وقد دعاني موقعي في الحركة الإسلامية وساحة العمل السياسي بمراحله المختلفة وما يرتبه علي من مسؤوليات إلى دراسة هذا الموضوع والإجابة عن معظم التساؤلات

التي تلح على الإخوة العاملين في الساحة الجزائرية خاصة وفي ساحات العالم العربي والإسلامي عامة وهم يرون - ما سبق بيانه أعلاه - ويعيشون أنواعا من الاستبداد والاستغلال والتمزق، فكانت هذه المواضيع التي تناولها هذا الكتاب اليوم عبارة عن أجوبة متفرقة قدمتها للشباب سنوات عنفوان العمل المسلح في الجزائر، ثم رأيت أن أجمعها وأرتبها وأضيف إليها ما فتح الله به علي وأبحث لها عن أسانيد وأدلة مما ذكره الأئمة والعلماء الأفاضل مما تمكنت من الاطلاع عليه وأنشرها في كتاب إسهاماً متواضعاً في معالجة قضية من أكبر وأخطر قضايا مناهج التغيير المطروحة في ساحة العمل الإسلامي.

والله أسأل أن يتجاوز عن خطئي في الدراسة والتحليل أو في النقل والاستدلال، وأن يشرح لها صدور الشباب العامل لتعينه على ترشيد جهده وإنفاق حياته وماله في ما يعود على الدين والأمة بالخير والمنفعة.

كما أرجو من كل عالم وداعية اطلع على هذا الكتاب ورأى فيه ما يخالف الشرع أن يكتب لي بذلك لأقوم بتصحيحه، فما أردت من هذا الكتاب إلا وجه الله سبحانه ثم الرغبة الصادقة في الإسهام في ترشيد جهود العاملين في الحقل الإسلامي.

درارية - الجزائر في ١٥ جوان ٢٠٠٣

مقاربات منهجية

قبل الشروع في مناقشة موضوع منهج التغيير أرى من الضروري أن أبسط القول في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعض المسائل المتعلقة به مما تشكل مداخل أساسية لفهم المناقشة المرصودة لهذا الموضوع الجلل.

حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حقيقة الأمر ثورة شاملة لإعادة الإنسان المنحرف الشاذ عن قاعدة التوحيد ونظام الله تعالى في الحياة بكل جوانبها وفي جميع مجالاتها؛ الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية والعسكرية، كما أنها دعوة إلى تغيير حياة الإنسان القائمة على أساس الانحراف وإعادتها إلى فطرتها المستقيمة، ومن ثم لا يليق ولا يقبل أن تؤدى بالفوضى والارتجال، ولا يقبل أن تكون سلوكات أصحابها عبارة عن ردود أفعال بل لابد أن تؤدى بالتخطيط وحسن التدبير وسلامة التنفيذ، وأن يتحلى أصحابها بسلاح العلم والرفق والصبر، فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عرضة لكل أشكال الأذى يناله من الواقعين في الضلالة والفساد أو من القائمين عليه الحارسين له من الأنظمة والحكومات أو من الأحزاب والجمعيات، ومن أنصار الرذيلة والانحراف، ولذلك فهو مأمور كما جاء في الأثر بأن يكون

فقيها فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه، رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه، حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه[١].

ولا عجب في ذلك فالإسلام شديد الحرص على بقاء أتباعه دائما في دائرة الطاعة، ولذلك فمثلما نجده شدد القول على الذين يسمعون حكم الله سبحانه ثم لا يطبقونه فيعتبرهم فاسقين منافقين أو كافرين ويتوعدهم بأشد أنواع الوعيد مثل الذي جاء في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[٣]، نجده ينكر على المؤمنين الذين يقصرون في أداء واجب الأمر والنهي بحجة غلبة

(١) المعتمد - أبو يعلى.
(٢) النساء الآية ٤٤-٤٦.
(٣) النساء الآية ٦٠.

الظلم وقلة الإمكانيات والرغبة في الاهتمام بالنفس كما رأينا سابقا، كما نجده يشدد القول على المؤمن الذي يسئ فهم الإسلام ويغالي في منهجه وتطبيقه؛ فيندفع في مصادرة حق غيره في الاجتهاد ويتجاوز الحد في الإنكار على المخالفين له في الرأي والعمل؛ ممن اختاروا لأنفسهم زعيما غير زعيمه أو رأيا غير رأيه وفهما غير فهمه والتزاما بأحكام الشرع في العبادات والمعاملات غير التزامه... وقد يقوده تطرفه في مثل هذه الحالات إلى الوقوع في تصرفات هي في نظر الإسلام معاصٍ وليست طاعات، كالذي حدث من تكفير الناس وتضليلهم واستباحة دمائهم وأعراضهم وأموالهم، لقد شدد الإسلام على هؤلاء واعتبر سلوكهم ذلك تعصبا للرأي وجمودا في الفهم وتشددا في الطبع لا يصدر إلا عن إنسان جاهل أحمق يفسد أكثر مما يصلح وينفر أكثر مما يبشر.

*****